

الصفات الإلهية في علم الكلام

علم الكلام هو العلم الذي يبحث في أصول العقيدة الإسلامية من خلال الحوار العقلاني والنقدي مع الآراء المختلفة. ومن أهم موضوعاته: الصفات الإلهية، التي تُمثّل جزءاً مهماً في فهمنا لله سبحانه وتعالى. الصفات الإلهية هي الخصائص التي تُنسب إلى الله تعالى وتُبيّن لنا بعض جوانب كماله وعظمته، وهي عنصر أساسي في بناء تصورنا عن الله في إطار العقيدة الإسلامية.

الصفات الإلهية : هي الخصائص أو الكمالات التي تُنسب إلى الله تعالى، وهي تُحدّد كيفية العلاقة بين الله وخلقه. من خلال هذه الصفات، نعرف أن الله متصف بالكمال المطلق، وأحد أهداف علم الكلام هو تفسير هذه الصفات بطريقة عقلية تُظهر طهر الله ونزاهته عن النقائص.

تُقسّم الصفات الإلهية بشكل عام إلى نوعين رئيسيين:

الصفات الذاتية: وهي الصفات التي تُعبّر عن كمال ذات الله، مثل: العلم، القدرة، الحياة، الإرادة، السمع، البصر.

الصفات الفعلية: وهي الصفات التي تُعبّر عن أفعال الله في الكون، مثل: الخلق، الرزق، الهداية، والإجابة للدعاء.

الصفات الذاتية:

تتمثل الصفات الذاتية في الكمالات التي لا يمكن أن يُتصوّر وجود الله من دونها. من أبرز هذه الصفات:

الوجود: الله موجودٌ بنفسه، وجوده قائم بذاته ولا يعتمد على شيء آخر.

العلم: الله يعلم كل شيء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ويشمل علمه الماضي، والحاضر، والمستقبل.

القدرة: الله قادر على كل شيء، لا يُعجزه شيء في الكون.

الحياة: الله حيّ لا يموت، وهو مصدر الحياة لكل الكائنات.

الإرادة: الله سبحانه وتعالى له الإرادة المطلقة التي لا تحدّها حدود.

السمع والبصر: الله يسمع ويرى كل شيء، وهو لا يتشابه مع السمع والبصر البشري، إذ إن سمعه وبصره لا يتأثران بالزمان أو المكان.

الصفات الفعلية:

هذه الصفات تُعبّر عن أفعال الله تعالى في العالم، وتُبيّن كيف يتفاعل الله مع خلقه. بعض هذه الصفات تشمل:

الخلق: الله هو الخالق لكل شيء في هذا الكون، وكل موجود هو من صنع إرادته وحكمته.

الرزق: الله هو الذي يرزق جميع مخلوقاته، يرزق الإنسان والحيوان والنبات.

الهداية: الله يهدي من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويسبغ نعمه على عباده.

الرحمة والمغفرة: الله تعالى متصف بالرحمة الواسعة والمغفرة، ويغفر الذنوب جميعها لمن تاب واستغفر.

قضية التنزيه:

من أهم المبادئ التي يجب أن نراعيها عند الحديث عن الصفات الإلهية هو مبدأ التنزيه. التنزيه يعني أن الله تعالى منزّه عن مشابهة المخلوقات. لا يمكن للصفات الإلهية أن تكون مشابهة لصفات البشر أو أي مخلوق آخر، لأن الله ليس كمثله شيء. لذلك، لا يُعقل أن نقول أن الله يملك صفات بشرية كالعجز أو النقص. وفي هذا السياق، جاءت الآية الكريمة: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الشورى: 11).

العلاقة بين الصفات والذات:

من القضايا الهامة في علم الكلام هي العلاقة بين الصفات والذات الإلهية. هل الصفات شيء مغاير لذات الله، أم هي عين الذات؟ يختلف العلماء في تفسير هذه العلاقة:

رأي الأشاعرة: يرون أن الصفات هي مغايرة للذات، ولكنها لا تمثل كائناً منفصلاً عن الله، بل هي أعيان قائمة به.

رأي المعتزلة: يرون أن الصفات هي نفس ذات الله، وليست مغايرة لها. بمعنى آخر، لا يوجد في الحقيقة شيء يمكن أن يُسمى "صفة" بشكل منفصل عن الله.

التوحيد والصفات:

تتعلق الصفات الإلهية ارتباطاً وثيقاً بمفهوم التوحيد، الذي هو أساس العقيدة الإسلامية. توحيد الله لا يعني فقط إيماننا بوجود الله، بل يتضمن الإيمان بكمالهِ في صفاته. ومن هنا، فإن أي تحريف أو تقصير في فهم صفات الله يؤدي إلى التشويش على التوحيد، مثلما يحدث في بعض المفاهيم الدينية التي تُنسب لله صفات تنقص من كماله أو تُشبهه بالمخلوقات.

الشبهات حول الصفات:

من بين الشبهات التي تثار حول الصفات الإلهية:

الحديث عن التشبيه والتجسيم: البعض قد يقول إن الحديث عن صفات الله يفتح المجال للتشبيه بين الله والمخلوقات. الرد على هذه الشبهة يكون بالتأكيد على مبدأ التنزيه الذي يقرره علم الكلام، وهو أن صفات الله لا تتشابه مع صفات المخلوقين.

الشبهة حول صفات الفعل: قد يطرح البعض تساؤلات حول كيف يمكن أن يكون الله متصفاً ببعض الأفعال التي قد نراها بشرية مثل الخلق والرزق. الرد يكون بالتوضيح أن الله فاعل بكل ما هو متناسب مع كماله، وأفعاله لا تشبه أفعال البشر، لأنها تنبع من إرادة مطلقة وعلم لانهائي.

في الختام، يمكن القول أن دراسة الصفات الإلهية في علم الكلام تعتبر حجر الزاوية لفهم العقيدة الإسلامية بشكل صحيح. الفهم السليم للصفات الإلهية يعين المسلم على توحيد الله في عقيدته وعلى تصحيح مفاهيمه عن الله تعالى.

وعلى الرغم من التحديات التي يواجهها المسلمون في تفسير هذه الصفات في العصر الحديث، إلا أن علم الكلام يوفر الأدوات العقلية والنقلية اللازمة لتوضيح هذه المفاهيم وحمايتها من الشبهات.

من خلال هذه المحاضرة، ندعو الطلاب إلى التفكير النقدي والتأمل في معنى الصفات الإلهية، وكيف يمكن استحضارها في حياتهم اليومية لتعميق الإيمان بالله سبحانه وتعالى.